الجولة الأولى

كنت وعدت فى كتاب سابق أن أكتب كتابا فى الفقهين الكبير والأكبر وأقصد فى ذلك علم العقائد وعلم الفقه وعلم التصوف • فالتصوف المحرر مكمل لعلم العقائد الذى هو الفقه الأكبر ؛ والفقه العملى هو الفقه الكبير ، ويدخل فى هذين العلمين العلوم التى هى بمثابة أصول لهما ، الا أننى بعد تفكير طـويل اكتفيت بسلسلة « **الأسـاس فى المنهج** » عن اصدار هذا الكتاب ، لاعتقادى أن ذلك كاف • لكننى آثرت أن أوضح قضية هذين الفقهين فى هذه الرسـالة كموضوع سريع يحتدم فيه النقاش وجعلتها جزءا من سلسلة « **فى البناء** » لايمانى أن جزءا رئيسيا من موضوع البناء هو بناء الشخصية الاسـلامية والمجتمع الاسلامى من خـلال هذين الفقهين ، ولايمانى أن تجاوز هذين الفقهين خطأ كبير •

وفى كتاب « **جند الله ثقافة وأخلاقا** » من هذه السلسلة دعوت الى دراسة عقائد أهل السنة والجماعة ، ودراسة التصوف المحرر ، ودراسة الفقه على مذهب من مذاهب أئمة الاجتهاد • فحمل على بسبب ذلك اخوة ، ظانين أن ذلك متناف مع روح الدعوة الاسلامية المعاصرة مع أننى لم أكن فيما كتبت الا شارحا ، ومبينا لمـا قاله امام هذه الدعوة فى هذا العصر الامام الشهيد حسن البنا رحمه الله وأحسن مثواه ورفع درجاته فى عليين • واذ كان الأمر من وجهة نظرى خطيرا لا يحسن السكوت عليه فقد رأيت أنه لابد من الكتابة فيه فكانت هذه الرسالة هى التوضيح اللازم • ولقد كتبت كتاب « **تربيتنا الروحية** » لتوضيح أحد مواضيع الفقهين الكبير والأكبر وهو موضوع التصوف المحرر لأضع الأمور فى مواضعها فى قضية الحقيقة الصوفية التى هى احدى السمات الرئيسية لدعوة الأستاذ البنا رحمه الله •

* * *

ان من بديهيات التصور الاسلامى التى ذكرتها النصوص أن الحق فى هذه الأمة مستمر ، له حملته الى ما قبيل قيام الساعة بقليل ؛ ومن ثم

فلا يمكن أن تمر لحظة على هذه الأمة الا وصيغة الحق موجودة • وحملة الحق موجودون . وأن يتصور انسان غير ذلك فذلك خطأ كبير ووهم فظيع •

فالحركة الاسلامية المعاصرة اذن لا تنطلق من فراغ ، ولا تسير فى فراغ ، بل هى استمرار لمسيرة الجماعة الاسلامية خلال العصور • فالاسلام الحق يحمله من كل جيل أفراد يقلون أو يكثرون . وهؤلاء ينقلون هذا الحق الى من بعدهم ، وهكذا حتى نزول عيسى ابن مريم عليه السلام فى آخر الزمان : « لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين الى يوم القيامة فينزل عيسى فيقول أميرهم : تعال صل لنا • فيقول : لا أن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة » أخرجه مسلم •

دعنا نفترض أن الحركة الاسلامية الحديثة انطلقت رافضة كل ما كان عليه المسلمون فيما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لنفترض أن الأمر سار كذلك فماذا يعنى ذلك ؟

انه يعنى أن هذه الحركة قد حكمت أن الأمة خلال العصور لم تكن على حق . وأن صيغة الحق خلال العصور انعدمت فيها وهذا وهم •

ان الكتاب والسنة هما الحكمان وهما القوامان ، وهما الميزانان ولكن الأمة الاسلامية لم تنطلق بمجموعها بعيدا عنهما • بل انطلق أهل الحق فى كل زمان على ضوئهما •

فمن هم أهل الحق ؟ وما هى مذاهبهم فى الاعتقاد ؟ وما هى مذاهبهم الفقهية وما هى مذاهبهم فى السير الى الله ؟ هذا كله لابد من الاجابة عليه ولا بد من معرفته واذا انطلقت الحركة الاسلامية على عماء من هذا كله فانها لن تكون استمرارا لجماعة الحق ، ولن تكون حاملة للحق •

ولاشك أن هناك دعاوى كثيرة خلال العصور حول حملة الحق هؤلاء من هم ، ولكن هناك مسلمات ، وهناك قواعد ضابطة من خلالها تتبين صيغة الحق بما لا يقبل جدلا عند المنصفين •

والحركة الاسلامية الحديثة يجب أن يكون من ألف بائها وضوح هذه الأمور حتى لا تنطلق على مسار خاطىء أو مسار ضال أو مسار فرقة منحرفة •

* * *

لقد قلنا ان هناك حملة عند الكثيرين على التراث كله ومع الحملة فهناك بعد عن التمييز بين ما ينبغى أخذه وما يجب تركه ، وما هو خطأ وما هو صواب لدرجة اختلط فيها الحابل بالنابل .

لقد وجد جيل يكاد يعتبر نفسه حياديا بين المعتزلة وأهل السنة أو بين الشيعة والخوارج بل أكثر من ذلك وجد بعض جيل يكاد لا يفرق بين انجاه واتجاه بل يتبنى من كل اتجاه اتجهته الفرق التى تنتمى الى الاسلام ما يحلو له وما يروق مع أن النصوص تؤكد ضلال بعض الفرق ، فكيف يسوغ فى منطق العقل السليم أن تبقى الأمور كذلك ؟

ان الأستاذ البنا رحمه الله جعل من واجبات اخوانه دراسة رسالة فى أصول العقائد ، وطالبهم بالتفقه على مذهب امام وجعل من سمات دعوته أنها حقيقة صوفية ، فما هى العقائد التى تدرس ، وما هو الفقه الذى يدرس ، وما هو التصوف الذى يدرس وأين نجد ذلك . وما هى الاحتراسات على الموجود ، وما هو المفقود الذى نحن بحاجة اليه ؟ .. كل ذلك يقتضى ألا تبقى هذه الأمور غامضة .

* * *

وحتى لا يفهمنا أحد فهما خاطئا ، لم نشأ أن نكتب فى مواضيع الفقهين بشكل مستقل ، ولذلك قررنا أن نكتفى باصدار سلسلة « **الأساس فى المنهج** » ليكون جزءا رئيسيا من أهدافها أن تعرض كل المسائل الرئيسية فى الفقهين الكبير والأكبر من خلال الدليل ، ولتبقى اتجاهات الفقهين الكبير والأكبر منضبطة ومنطلقة من النصوص . وليدرك المسلم بنفس الوقت الحدود المقبولة فى الاختلاف حيث يكون لذلك وجهه ومن ثم فاننا نعتبر هذه الرسالة تكملهـا سلسلة « **الأسـاس فى المنهج** » ونعتبر تلك السلسلة هى البديل عن الكتابة فى مواضيع الفقهين الكبير والأكبر بشكل مستقل .

* * *

انه لو أردنا أن نختصر بكلمة جامعة مهمة الحركة الاسلامية المعاصرة فى شأن العلوم الاسـلامية التى ورثناهـا فاننا نقول : ان مهمتنا فى هذه العلوم هى أن نحررها من الدخن الذى علق بها ، وأن نضعها فى محلها ضمن نظرية كلية فى فهم الاسـلام واحتياجات المسلمين وضرورة

حركتهم الواحدة • وكبديهية من البديهيات أن يكون ذلك على ضوء فهم الأئمة الأعلام الثقات الذين استشرفوا الشريعة كلها لأنهم هم وحدهم الذين اعتمدوا أدق القواعد المنزهة عن الهوى فى التحقيق • فاذا ما فهم فاهم أن مهمة الحركة الاسلامية فى هذا الشأن غير ذلك فانه يكون واهما ، لأن حركتنا وقتذاك لا تكون حركة فى الطريق السليم على المسار السليم للأمة الاسلامية • بل تكون حركة خاطئة مرشحة للسير على الطريق الخاطىء فى المسارات الخاطئة للفرق الاسلامية المنحرفة المتعددة التى انفصلت عن جسم هذه الأمة ، أو أصبحت أعضاء مريضة فيه •

* * *

الأستاذ البنا رحمه الله يرى ضرورة أن يدرس الأخ رسالة فى أصول العقائد ، والكتب فى أصول العقائد كثيرة جدا منها القديم ومنها الحديث وليس واحد منها معصوما والأستاذ البنا حدد موقفنا من أمهات مسائل الخلاف •

والأستاذ البنا يرى ضرورة أن يتفقه الأخ على مذهب امام من أئمتنا ، فالأستاذ يرى أن نقطة البداية فى السير الفقهى أن يدرس المسلم كتابا فقهيا فالمذهبية الفقهية شىء لابد منه كنقطة انطلاق ، لأن المسلم يستطيع من خلال دراسته أى كتاب فقه على أى مذهب أن يعرف أمهات المسائل فى كل الأبواب العملية الحياتية الواقعية خلال أيام ، بينما لو لم يفعل ذلك فانه يبقى السنين وهو لا يعرف كيف يصلى وقد يقع فى أغلاط تفسد عليه دنياه وأخراه وهو لا يعلم حكمها ولا يعرف أين يراجع حكمها لأن التفريعات الكثيرة للمسائل العملية لا تجدها الا فى كتب الفقه وحتى الكتب التى تشرح أحاديث الأحكام تقتصر على ذكر أمهات المسائل فقط ، وكتب الفقه المؤلفة فى كل مذهب من المذاهب تكاد لا تعد ولا تحصى •

والأستاذ البنا يرى ضرورة التربية الصوفية فى الجانب الروحى ليصل المسلم الى الحقيقة الصوفية مع التقيد الكامل بالنصوص ، وهذا يقتضى دراسة صوفية محررة وعملا ••

أمثال هذه الدراسات ضرورية لاستكمال الثقافة الاسلامية والتربية الاسلامية • هذه البديهيات أصبحت عند بعض الناس مرفوضة رفضا مطلقا وكأنها الباطل بعينه •

* * *

ويحار الانسان عندما تصبح البديهية محل نقاش !!! ...

ترى ألا يحتاج المسلم أن يعرف عقيدة الحق ، وأن يعرف جوانب الخطأ التى وقعت بها فرق الضلالة خلال العصور ؟ وكيف يعرف ذلك اذا لم يدرس ؟ ! واذا درس ورأى الحق ألا يجب عليه أن يلتزم به ؟ ! .

ترى ألا يحتاج المسلم أن يتعلم كيف يصلى ويزكى ويصوم ويحج ؟ ! .

ألا يحتاج الى أن يعرف أحكام ذلك وأمثاله من بيعه وشرائه وزواجه وطلاقه وغير ذلك ؟ ! فأين يتعلم ذلك ان لم يكن فى كتب الفقه ؟ ! واذا لم تكن البداية أن يتفقه على مذهب امام فهل تكون البداية أن نغرقه فى آلاف المجلدات ونطلب منه أن يحقق فيها ؟ ..

ان المسلم من خلال دراسة لمتن فقه على مذهب امام معتمد خلال أيام يستطيع أن يعرف أكثر ما يلزمه فى شئون عباداته ومعاملاته وبدون ذلك يبقى السنين تفوته البديهيات . ترى ألا يحتاج المسلم أن يكون عنده شىء من علم عن نفسه وقلبه وعقله وروحه . وطرق صياغة ذلك كله اسلاميا على ضوء النصوص ألا يقتضى هذا منه دراسة صوفية محررة وعملا ما ؟ !

فكيف لا تكون أمثال هذه الأمور جزءا من دراسة المسلم وجزءا من ثقافته وهل يمارى فى ذلك ، الا مكابر يريد أن يضيع المسلم عن صبغة الحق فى العقائد ، ويبقى جاهلا فى فقه مسائل يومه ، ويبقى بعيدا عن حقيقة الايمان والاخلاص . هذا الموضوع بالذات أصبح محل نقاش . والأدهى من ذلك أن ينقض بعض الناس هذه البديهيات بفهوم مبتسرة ينسبونها لقمم هذه الدعوة الذين لم يفهمهم هؤلاء ، ولكنه الجهل فى وضع الأمور فى مواضعها ، وعدم حمل كل كلام على محمله الصحيح .

* * *

ان هناك لغة عجيبة عند بعضهم ..

انهم يريدون أن نتخلى عن مذاهب الفرقة الناجية فى الاعتقاد والفقه والتصوف المحرر على ضوء النصوص ، ولكن : الى ماذا ؟ ولماذا ؟

ان للمسلمين خلال العصور أئمتهم فى الاعتقاد وأئمتهم فى الفقه ، وأئمتهم فى التصوف والسلوك الى الله عز وجل • فأئمتهم فى الاعتقاد كأبى الحسن الأشعرى ، وأبو منصور الماتريدى • وأئمتهم فى الفقه كثيرون منهم أبو حنيفة والشافعى ومالك وأحمد بن حنبل والامام زيد والامام جعفر الصادق وأئمتهم فى التصوف كالجنيد •

وهؤلاء وأمثالهم كل فى اختصاصه حيث ثبت النقل عنه ، قدم أصفى فهم للكتاب والسنة ، ومن ثم أجمعت الأمة على اعتماد أقوالهم وقبولها فى خضم اتجاهات لا تعد ولا تحصى من الاتجاهات الباطلة والزائفة ، ومنها الذى مات ومنها الذى لا زال حيا •

* * *

لو رجعت الى كتاب « مقالات الاسلاميين » لأبى الحسن الأشعرى لرأيت عجبا أن يوجد مسلمون يقولون بمثل هذه الترهات التى نقلها الشيخ هناك عن كثير من أصحاب الاتجاهات الباطلة • أفنترك المسلم دون حصانة فى قضايا الاعتقاد أو نقدم له العقيدة الصافية باختصار يحفظه من قبول الفكرة الخاطئة ويعصمه من الفهم الخاطىء • وقل مثل ذلك فى الفقه والتصوف •

* * *

ولا شك أن فى هذه الرسالة مواضيع اعتادت أطراف كثيرة أن تقف منها بشىء من الانفعال ، ونرجو من كل قارىء ألا يستعجل الحكم عليها قبل الانتهاء منها ، فاذا انتهى فليصدر حكمه ونرجو أن يكون منصفا ونظن أن كل المنصفين سيستقرون على ما استقررنا عليه فى المواضيع التى عرضناها •

ولقد عرضنا فصول هذه الرسالة تحت اسم جولات لأن فى كل فصل منها هجوما على خطأ أو دفاعا عن حق •

ولقد كررنا بعض المعانى مرات ، مرة باجمال ، ومرة بتفصيل وذلك لتأكيد بعض المعانى التى تحتاج الى تأكيد اقتداء بالقرآن الكريم فلا يلومنا القارىء على ذلك •

ونظن أن هذه الرسالة تقف على قدم سواء مع بقية رسائل هذه السلسلة فى موضوع البناء للشخصية الاسلامية وللأمة الاسلامية ••

* * *

اننى أعتقد أننى بهذه الرسالة أخدم قضية مهمة من قضايا الدعوة الاسلامية المعاصرة • فقد أصبحت علوم الاسلام بحاجة الى تحرير من الدخن الذى علق بها ، وأن يكون ذلك كله متوافقا مع طرح نظرة كلية لفهم الاسلام واحتياجات المسلمين وقد أجمل الأستاذ البنا رحمه الله فى ذلك كله وأعطى أسس ذلك غير أن دراسات الاخوان بقيت متجهة فى طريق الكليات دون النزول الى فقه الجزئيات وهى قضايا يحتاجها المسلم كثيرا كاحتياجه الى الكليات ومن ثم غلب على تفكير الكثير منا الغموض فى مواضيع الفقهيات أو مسائل العقائد أو مسائل السير الى الله والسلوك الأخلاقى وكان من آثار ذلك أن وجد عند الكثير منا استعداد لقبول الآراء الشاذة أو الدفاع عنها بما لا يتناسب مع كون دعوتنا استمرارا لصيغة الحق الصحيحة خـلال العصـور والتى تتمثل دائما بطائفة كما رأينا فى الحديث :

« لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين » •

* * *

اننا نتمنى للمسلمين مذهبية سلفية وصوفية سلفية • نتمنى لهم سلفية يضبطها العلم ويجتمع معها السير الى الله ، نريد للمسلمين مذهبية وسلوكا لا افراط فيهما وسلفية وسنية لا تفريط فيهما وهذا لا يعنى انهجوم على الفتوى ولا يعنى التلفيق الجاهل بين أقوال العلماء • نريد تفقها فى فقه المذاهب أو فى فقه مذهب يرافقه سعة أفق ومعرفة بحال العصر ونظر دقيق فى آراء العلماء مع معرفة كبيرة بالكتاب والسنة وهذا كله ممكن وكله ضرورى •

* * *

كثيرا ما يحدث أن الهجوم على الفتوى من غير أهلها يرافقه خطأ شرعى اذ أن هناك دقائق تحتاجها الفتوى لا يفطن لها كل انسان ••

وكثيرا ما يحدث أن يسارع ناس الى التلفيق بين أقوال العلماء فى الوقت الذى تكون هناك حيثيات دقيقة لا يفطن لها الا المتقن لأصول مذهب •

وكثيرا ما تفرق القضية الواحدة فى مجموعة أبواب ، فغير المتقنين للفقه كله تغيب عنهم بعض جوانب المسائل •

وكثيرا ما يؤخذ غير الفقيه والراسخ فى العلم ببعض الروايات المنسوبة الى الاسلام وليست منه • وكثيرا ما تجد الفقيه غير عابد ، والمنتسب للسلف جاف القلب ، والعابد جاهلا فى الأحكام الفقهية وكل ذلك يحتاج الى علاج •

* * *

ولكن ما نريده تحول دونه أشياء ••

والعلاج كذلك تحول دونه أشياء •••

من هذه الأشياء : عدم وجود القناعة بضرورة الدراسة المستوعبة لعلوم الفقه والعقائد والتصوف وأصول ذلك ، وهذا الذى نحاوله فى هذه الرسالة •

ومن هذه الأشياء : طبيعة التأليف فى العصور المتأخرة فى هذه العلوم وخذ لذلك مثلا :

درج علماء المسلمين خـلال العصور وخاصة المتأخرة أن يعقدوا عباراتهم ، وحجتهم فى ذلك أنهم بهذا يضمنون أن يؤخذ العلم من أهله وفى ذلك من الحكم ما فيه اذ يؤخذ بهذا مع العلم سمت العلم وأدب العلماء وتواضعهم وتقواهم ولا يكون هذا الا بأخذ العلم من العلماء ولكن هذا كان فى عصور تواجد العلماء : المعطون متوافرون وهمة الأخذ والطلب عند الناس موجودة ، وأما فى عصرنا فان هذا أصبح عائقا دون العلم وحائلا دون المعرفة ••

وقد درج العلماء المتأخرون على أن يكتبوا على طريقة المتن والشرح والحاشـية ، ولذلك حكمه : التى تناسب العصر الذى وجد فيه • أما فى عصرنا فان مثل هذا التداخل والاحالة لا تطيقه طبيعة الرجل العادى وان كان لا زال لذلك حكمه وضرورته فى بعض البيئات •

وفى خضم قضية المتن والشرح والحاشية دخل فى كل علم ما ليس منه • فاختلطت فى الكتاب الواحد قضايا البلاغة والنحو والفقه والمنطق والتوحيد والتصـوف والحكم والشـعر والوقائع وغير ذلك مما يبعد الكثيرين عن الوصول السريع الى حقيقة العلم •

ودخل فى كل علم من هذه العلوم كثير من القضايا الرائجة فى عصر من العصور كجزء من ثقافة ذلك العصر وكثير منها كان غلطا •

وأخذت كثير من الأمور التى هى وليدة بيئة أو احتياجات ضرورة طابعا تعميميا ، وكان هذا كله عاملا من عوامل الاحتياج الى تآليف جديدة معاصرة • وقد كان العلماء فى الماضى يكتبون فى الغالب للعلماء ولا يكتبون للعامة لأن الأمية كانت فاشية ، ولابد أن يكون بين العلم وبين العامة وسيط هو المعلم الشارح •

ومن ثم فأول ما يشعر به قارىء بعض الكتب القديمة أنها كتبت لفئة خاصة وطبقة خاصة ، ولعل من أبرز ما يشعر به قارىء هذه الكتب أنه عاجز عن تحصيل ما يلزمه عن طريق قراءة هذه الكتب •

أما فى عصرنا فقد أصبح الكثيرون قادرين على التلقى من الكتاب مباشرة اذا كان الكتاب ميسرا ، ولهذا كله فان طبيعة عصرنا تقتضى تأليفا مناسبا له وقد كتب أهل عصرنا حتى الآن الكثير مما يحتاجه هذا العصر ، ولا زلنا بحاجة الى مزيد • ولكن •• هل التأليف فى هذه العلوم نزهة ؟

ان التأليف فى العقائد يقتضى استيعابا لعشرات المسائل وقدرة على مناقشتها واحاطة بملابسات كثيرة منها التاريخى ومنها الجغرافى ويقتضى قبل ذلك كله احاطة فى النصوص ومعرفة فى وضع كل نص فى محله •

وان التأليف فى التصوف يقتضى سيرا عباديا عمليا واحاطة فى الفقه ثم قدرة على الفهم والتنقيح لكل ما كتب •

وأما الفقه فالأمر فيه أشق ••

كانوا يقولون قديما : عجبت لحنفى تفقه فى ثلاثين سنة ! فلماذا ؟

لأن الفقيه مهمته أن يفتى فى أية قضية تعرض عليه ان فى العبادات أو فى المعاملات أو فى قضايا القضاء أو غير ذلك على ضوء أصول المذهب وفروعه واذا أردنا أن نعبر عن ذلك بلغة العصر نقول :

ان الفقيه حتى يعتبر فقيها ينبغى أن يكون مستوعبا لكل ما يسمى حاليا بالفقه الدستورى وقادرا على الفتوى فيه وأن يكون مستوعبا لقضايا فقه المعاملات التجارية الدولية والمحلية وقادرا على الفتوى فيها ومستوعبا لقضايا الأحوال الشخصية وقادرا على الفتوى فيها ومستوعبا

لقضـــايا الجنايـــات والمخـــالفات وقـــادرا على الفتوى فيهـــا وقل ذلك فى كل فرع من فروع القانون المعاصر وزيادة على ذلك أن يكون مستوعبا لقضايا العبادات وقادرا على الفتوى فيها وهذا كله ينبغى أن يرافقه استيعاب لأصول المذهب وقدرة على استخراج حكم المسألة الجديدة على ضوء هذه القواعد فكم يوجد الآن من أمثال هؤلاء ؟ ومن منهم القادر على التأليف المناسب لكل طبقة من طبقات هذه الأمة ؟ فهل التأليف الفقهى المناسب عملية سهلة ؟ ..

انه حتى يتخصص متخصص بأحد فروع القانون المعاصر يحتاج الى سنين طويلة فكيف بالتفقه الذى يشمل مجالات الحياة كلها ؟

* * *

ولمـــا كان الفقه الاسلامى قد أبعد عن حياة الدولة بشكل متعمد خلال فترة طويلة ، فى الوقت الذى تجددت فيه ملايين المسائل بحكم خصب الحياة المعاصرة وهذا يقتضى عملية شاقة من أجل فرز المسائل الميتة وتقرير أحكام المسائل الحية وهذا يقتضى دراســـة للدراسات الحقوقية المعاصرة والقوانين والدساتير المعتمدة وأن يذكر ما يقابلهـــا رفضا أو قبولا فى فقه المذاهب عامة ليعرف القارىء التناقض العريض بين ما يجرى وبين ما ينبغى أن يكون • كما ينبغى أن يجاب على كل تساؤل يمكن أن يخطر ببال المسلم المعاصر عن أمهات القضايا التى يمكن أن تعرض له •

انها لمهمة شاقة لابد منها للحاضر وللمستقبل ، للعلم وللفتوى بآن واحد • وهذا ليس من باب النوافل والمندوبات ، بل هو من باب فروض الكفايات التى تأثم الأمة كلها اذا لم تقمها بما يكفى احتياجاتها •

ان الفتوى ليست عملية سهلة فقد يكون لقضية ما صلة بعشرات الأبواب واذا لم يكن الفقيه مستوعبا لكل أبواب الفقه وأصوله فمن العسير عليه أن يفتى • خذ مثلا الفتوى فى قضايا الأرض بعد الاصلاح الزراعى : انها ترتبط بقضايا أصل ملكية أراضى بعض الأقطار الاسلامية ، وترتبط بتأثيرات نوع الحكومات وحقوقها باتخاذ بعض القرارات وترتبط بقضايا طرق اثبات الملكية وترتبط بقضايا منع أصحاب الأموال حقوق الأموال وما يترتب على ذلك ، وترتبط بقضايا الردة وتأثيراتها على

تملك أصحابها ، وترتبط بقضـــايا الغصب وأنواع الغاصبين وترتبط بتأثيرات التصرفات على الأرض بعد الاستيلاء ، ثم هناك ... قضايا الفتوى وقضايا التقوى وقضايا الغاء اللاحق فى الحكم لأفعال السابق وما حدود الالزامية للحاكم اللاحق فى ابطال فعل الحكم السابق وغير ذلك كثير .. فالتأليف فى الفقه ليس نزهة والفتوى ليست عملية سهلة . وهل المسلم المعاصر بالخيار أن لا يستفتى فى النازلة التى تقع عليه ؟

وأن يوجد فى الأمة الاسلامية القادرون على الفتوى المناسبة للزمان والمكان والأشخاص هل هذا من باب المكروهات أو المفروضات فى شريعة الله ؟ ..

انه لابد من تأليف جديد فى العقائد والفقه والتصوف وأصول ذلك بعد الاقتناع بضرورة هذه الدراسات .

ان كتب الفقه المتأخرة اذا تحدثت عن الدليل فانها فى كثير من الأحيان لا تستوعب أدلة المذهب ومن ثم وجد فى كثير منها قصور أصبح حجة على المذهب نفسه . وان كثيرا من كتب العقائد ذكرت مسائل اعتمدت فيها على نقول لم تصل الى درجة الحجية فى باب العقائد . وان كتب التصوف توسعت فى التعبير عن قضايا الشعور دون أن تذكر تقييدات ذلك . هذا وأمثاله كله يقتضى تأليفا جديدا فى هذه العلوم كجزء من علاج وكدواء لمرض وكحل لمشاكل .

* * *

وهذه الرسالة فى جولاتها تريد أن تقنع بضرورات ذلك لأن الاقتناع هو البداية فى الانطلاق خاصة وأن كثيرين يسيرون فى الطريق المعاكس لهذا مستندين على فهوم لرجالات هذه الدعوة فى غير محلها ونخشى ان استمرت مثل هذه الفهوم أن تصاب الدعوة بعقم لا يخرج معه فيها رجل كعبد القادر عودة رحمه الله ولا كتاب كالتشريع الجنائى فى الاسلام .

وليتأن الأخ قليلا قبل الوقوع فى الغلط فهذه الرسالة ستناقش الأمور من جوانب متعددة .

* * *

اننا لنأمل من خلال هذه الرسالة أن نعرض لقضايا العقيدة والتصوف والفقه مما ينعدم به الانفصام المر الذى حدث فى تاريخنا فى الشخصية

وأن يزول الصراع المر بين اتجاهات تكمل بعضها ، وأن تتلاقى التصورات الصحيحة فى كل الجوانب فى قلب المسلم وعقله وسلوكه ، لتكون راحة القلب وراحة العقل موجودتين ومتلاحمتين مع سلامة العمل • هذا كله فى جانب ••

والجانب الآخر المهم الذى نحرص أن نصل بواسطة هذه الرسالة اليه هو أن توفر طاقات كثيرة تهدر بسبب عدم الوضوح • وما أكثر الساعات التى تمر بسبب نقاش جاهل بين أطراف من الناس لو كان عندهم وضوح فى فهم بعض الأمور لما كان لهذا النقاش مبرر •

انه لمن الفظيع جدا أن تكون الحراب كلها موجهة نحو الاسلام ، وأن تكون الدنيا كلها تعد المجازر لنا ، ونحن نتلهى بخلافات لا مبرر لها الا الجهل وسوء الفهم والتطبيق •

انه لمن الجهل وسوء الفهم والتطبيق أن نحمل قضية محمودة على قضية مذمومة ونسوى بينهما فى الحكم • فمثلا فى زمن التشريع كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره السؤال خشية أن يكون سببا من أسباب الاثقال على هذه الأمة • ففى الحديث الذى رواه الشيخان عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دعونى ما تركتكم ، فانما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم •• » وفى الحديث الذى رواه الشيخان وأبو داوود عن سعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان أعظم المسلمين فى المسلمين جرما من سأل عن شىء لم يحرم على الناس فحرم من أجل مسألته » • واستمر أدب ترك السؤال الا عما ينبغى فى جيل الصحابة رضوان الله عنهم • فهذا الدارمى يروى جواب ابن عمر وقد سئل عن شىء : لا تسأل عما لم يكن فانى سمعت عمر يلعن من سأل عما لم يكن » • وتوسعت بعد ذلك دار الاسلام وأصبحت كل قرية وكل بلد بحاجة الى فقيه وقاض ومفت ولا يمكن أن يوجد كثيرون يفتون الناس بحسب اجتهادهم بما يسع الناس • فشىء عادى أمام هذا كله أن يبدأ المجتهدون سلوك طريق تصور المسائل المحتملة الوقوع ليجيبوا عليها ليكون جوابهم جاهزا بيد المفتى والقاضى اذا وقعت هذه المسائل • ان توسع دار الاسلام وعدم امكانية وجود مجتهدين يسعون كل جزء فى هذه الدار جعل المجتهدين يضعون بين يدى أهل العلم أجوبة للمسائل التى تقع

وللمسائل التى تحتمل الوقوع • ولم يستطع بعض المحدثين أن يهضموا الوضع الجديد واحتياجاته فحملوا على المجتهدين الذين وعوا احتياجات هذه المرحلة وبدأوا يغطون هذه الاحتياجات • ولعل هذا من أبرز الأسباب الحقيقية لحملة بعض المحدثين على أبى حنيفة رحمه الله والا فمن قرأ الكتاب القيم الذى حققه شيخنا الشيخ عبد الفتاح أبو غدة وأخرجه تحت اسم « قواعد فى علوم الحديث » من قرأ هذا الكتاب يدرك أن فن علم الحديث هو لصالح مذهب أبى حنيفة كما هو لصالح بقية أئمة الاجتهاد ••

ترى هل يصح فى منطق الفهم البصير لمثل هذا الأمر أن نبقى بعيدين عن ادراك الفارق بين مرحلتين وبالتالى نعيش فى أجواء خلاف تجاوزته الأمة منذ زمن بعيد ؟ ألا يدل ذلك على أن قصورا ما فى الادراك هو السر وعلى القاصر أن يعيد النظر فى قصوره ليكون ابصاره مطابقا للواقع ؟

انه من مثل هذا ندرك أن كثيرا من الخلافات يمكن حلها بالعلم والوعى ودقة النظر ووضع الأمور فى مواضعها وهذا الذى نحلم فيه لأنفسنا ولاخواننا المسلمين فلم يزل اجتماع القلوب على الحق علامة رحمة الله • قال تعالى : « **ولا يزالون مختلفين • الا من رحم ربك ، ولذلك خلقهم ••** »(١) •

ولا يتوهمن متوهم أن الاختلاف ههنا هو فى مثل ما اختلف فيه مالك وأحمد والشافعى وأبو حنيفة ، أو فيما اختلف فيه أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ، فهؤلاء كلهم مرحومون ولم يختلفوا الا حيث تقتضى وجهات النظر الصحيحة اختلافا وكان اختلافهم عين الرحمة ليكون أمام هذه الأمة وجهات نظر متعددة فى القضايا التى تتراوح المصلحة فيها بين وضع ووضع وبين نظر ونظر ، ولم تزل كل الأمم وكل الشعوب ترى فى كثرة الفقهاء والباحثين وكثرة الآراء مع الحجج الوجيهة فى القضية الواحدة علامة صحة • على أن يكون هناك بعد ذلك من له حق الترجيح

---

(١) هود : ١١٨ ، ١١٩ •

ولم يزل فى أمتنا الاسلامية حق الترجيح فى التطبيق العام على الأمة منوطا بالنسبة للأمة بشخص الامام ، ومنوطا بالنسبة للأفراد بقناعاتهم .

* * *

واذا انضمت الأسباب الحاملة على كتابة هذه الرسالة والأهداف التى أريد تحقيقها من هذه الكتابة واذا كان ما فيها محررا على ضوء الأصول الصحيحة فى الكتاب والسنة ومنسجما مع فقه الدعوة المعاصر فلا على أن يلومنى من لا يدرك احتياجات البناء الذى ان تم فلا يهمنى بعد ذلك ما يكون وأسأل الله رضوانه وحفظه .

على أنى على استعداد لسماع أى كلام وعلى استعداد للتراجع عن أى خطأ وما أسهله على ان شاء الله .

* * *